التعددية اللغوية وإشكالية الهوية والانتماء في لغة الكتابة الإبداعية الجزائرية

Linguistic diversity and the problem of identity and belonging in the language of Algerian creative writing

العربي بوعمران بوعلام*
جامعة خميس مليانة (الجزائر)
b.larbi-bouamrane@univ-dbkm.dz

عيوش نعيمة
جامعة خميس مليانة (الجزائر)
n.ayouche@univ-dbkm.dz

تاريخ الإرسال: 2025/11/13	تاريخ القبول: 2025/12/11

الملخص:

يُعد الأدب الجزائري نموذجًا فريدًا لتداخل اللغات والثقافات والهويات، حيث تتقاطع الفرنسية والعربية الفصحى والعامية الجزائرية والأمازيغية، لتشكل نسيجًا أدبيًا يعكس تاريخًا معقدًا من الاستعمار والمقاومة والبحث عن الذات، خاصة إذ ما تحدثنا عن الأدب الجزائري حديث النشأة، هذا التعدد اللغوي ليس مجرد أثر للتراكم التاريخي، بل هو تعبير عن هوية متعددة الأبعاد، تتراوح بين الرفض والقبول، بين التقليد والتجديد.

وهذا ما جعل المشهد الأدبي الجزائري يتسم بالتعددية اللغوية أو الانفلات اللغوي الواضح لدى العديد من الكتاب والأدباء الجزائريين الذين يميلون إلى الكتابة باللغة الفرنسية بدلاً من العربية أو الأمازيغية، هذه الظاهرة تطرح تساؤلات حول الأسباب الكامنة وراء هذا الاختيار وتأثيره على الهوية الثقافية الأمازيغية وعلى المشهد الأدبي الجزائري ككل.

الكلمات المفتاحية: التعدد اللغوي، الأدب الجزائري، الهوية، لغة الآخر.

Abstract :

Algerian literature is a unique example of the intermingling of languages, cultures, and identities, where French, Classical Arabic, Algerian colloquial Arabic, and Berber intersect to form a literary fabric that reflects a complex history of colonialism, resistance, and the search for self, especially when considering recent Algerian literature. This linguistic diversity is not merely a consequence of historical accumulation, but rather an expression of a multifaceted identity, oscillating between rejection and acceptance, tradition and innovation.

This has led to a distinct linguistic diversity, or even a clear linguistic drift, in the Algerian literary scene, with many Algerian writers and authors preferring to write in French rather than Arabic or Berber. This phenomenon raises questions about the underlying reasons for this choice and its impact on Berber cultural identity and the Algerian literary landscape as a whole.

Keywords: Multilingualism, Algerian literature, identity, the language of the other.

*المؤلف المرسل: العربي بوعمران بوعلام

1- مقدمة:

2- شكّلت اللغة في الجزائر عبر التاريخ إشكالية ثقافية وهوية معقّدة، نتيجة الاستعمار الفرنسي الطويل (1830–1962) الذي فرض لغته وهويته بقوة، مما ترك آثارًا عميقة على المشهد اللغوي والأدبي في البلاد بعد الاستقلال، وعلى الرغم من محاولات تعريب المؤسسات الرسمية وتعزيز مكانة اللغة العربية والأمازيغية (التي تم الاعتراف بها لغة وطنية ثم رسمية)، ظلّت الفرنسية تحتلّ مكانة بارزة في المشهد الثقافي والإبداعي.

في هذا السياق، يبرز اتجاه العديد من الكتّاب الجزائريين إلى الكتابة الإبداعية باللغة الفرنسية بدلاً من العربية أو الأمازيغية، سواء في الرواية، الشعر، أو المسرح، هذا الاختيار لا يعبّر فقط عن تأثير الموروث الاستعماري، بل أيضًا عن سعي هؤلاء الكتّاب إلى تجاوز الحدود المحلية والوصول إلى جمهور أوسع، خاصة في الفضاء الفرنكوفوني، كما يمكن تفسيره أحيانًا كتعبير عن هوية هجينة أو كردّ فعل على السياسات اللغوية الرسمية التي قد يُنظر إليها على أنها إقصائية أو غير كافية لدعم التنوع اللغوي والثقافي في الجزائر.

من ناحية أخرى، فإن هذا اللجوء إلى الفرنسية يطرح أسئلة جوهرية حول الهوية الوطنية والذاكرة الجماعية، إذ يتنازع الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية بين الانتماء إلى التراث المحلي والانفتاح على العالمية، بين استعارة لغة "الآخر" ونقل صوت الذات بكلّ تناقضاتها، عبر أعمال كتّاب مثل كاتب ياسين، آسيا جبار، أو رشيد بوجدرة، نجد محاولات لاستعمار اللغة الفرنسية نفسها، وتحويلها إلى أداة للمقاومة والتعبير عن روح جزائرية فريدة.

تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف دوافع وأبعاد هذه الظاهرة، مع التركيز على تأثيرها على الهوية الثقافية الجزائرية، وانعكاساتها على المشهد الأدبي المحلي والعالمي، إذ أن هناك العديد من التحديات التي تواجه الهوية الوطنية وهي إشكالية عميقة تتعلق بتعقيدات الواقع اللغوي والثقافي في الجزائر، وهذا ما يفتح بابًا واسعًا للتأمل في الهوية، والانتماء، والتاريخ، والعلاقات المعقدة بين اللغة والكتابة والإبداع، لذا سنحاول تقديم تحليل شامل لهذه القضايا من عدة زوايا:

1- اللغات المستعملة.
2- اختيارات الكتاب.
3- الدوافع الثقافية والسياسية.
4- والآثار على المستقبل الأدبي واللغوي للجزائر.

2- الخريطة اللغوية في الجزائر:

تعتبر الجزائر مجتمعا متعدد اللغات (Multilingual)، تتداخل فيه العديد من اللغات واللهجات المحلية نذكرها فيما يلي:

1- **العربية الفصحى:** تعتبر اللغة العربية الفصحى في الجزائر اللغة الرسمية الأولى، لذلك فهي لغة التعليم، والمراسلات الإدارية في مختلف مؤسسات الدولة، كما أنها لغة الاعلام والتواصل اليومي خاصة بين النخبة.

2- **الدارجة (العربية الجزائرية العامية): تعد اللهجة العامية** لغة التواصل اليومي والتعبير الشعبي، وتُعتبر الآن لغة إبداعية متزايدة الاستخدام، "وتختص اللهجة العامية عن اللغة العربية الفصحى بجملة من المميزات والخصائص ولعل أهمها ماكان في الألفاظ، حيث تختص ألفاظ اللهجة الدارجة بالتخفيف، والنحت والقلب والحذف والادغام، كما أنها لا تتقيد بقواعد اللغة العربية الفصحى، حيث تسقط قواعد الاعراب بصورة شبه كلية".[1]

3- **المازيغية (بأصنافها المحلية مثل القبائلية، الشلحية، المزابية، الطوارقية...):** تعتبر الأمازيغية لغة تداول وتواصل يومي وقد بقيت محصورة في دائرة المشافهة لسنوات، ولم تستطع أن تفرض نفسها كلغة مكتوبة في المدارس إلا مؤخرا، حيث تم إقرارها من قبل الدولة الجزائرية كلغة رسمية ثانية بعد اللغة العربية،إذ تم اقرارها في المنظومة التربوية (المدارس والجامعات) منذ 2016م، تضم الأمازيغية هي الأخرى مجموعة من اللهجات (المازيغيات)، التي تنتشر في مناطق متفرقة من البلاد، وتعتبر اللهجات المازيغية الحالية" امتداد للتنوعات اللغوية القديمة التي عرفها المغرب العربي، أو بالأحرى في الرقعة الناطقة بالبربرية التي تمتد من مصر إلى المغرب الأقصى الحاليين، ومن الجزائر إلى النيجر وهي تمثل أقدم اللغات الأصلية، وبذلك تشكل في الجزائر اللغة الأم لجزء من السكان".[2]

يشكل عدد الناطقين بالمازيغية حوالي 27% من العدد الاجمالي لسكان الجزائر، كما أنها تتفرع للعديد من اللهجات منها:

القبائلية: تسود في منطقة تيزي وزو، مع وجود بعض المجموعات في منطقة البويرة.

الترقية: هي اللهجة التي يتحدث بها التوارق وتتوزع في منطقة كبيرة من صحراء الجزائر.

الشاوية: وهي اللهجة التي تتحدث بها مجموعة من سكان الأمازيغ القاطنين بجبال الأوراس (باتنة، أم البواقي، خنشلة، تبسة، والجهة الجنوبية من سطيف).

الميزابية: هي اللهجة التي يتحدث بها سكان بني مزاب القاطنين في غرداية وبعض المدن الأخرى من الجنوب الجزائري.[3]

4- **الفرنسية**: تعتبر اللغة الفرنسية لغة دخيلة على المجتمع الجزائري، اكتسبها نتيجة استعمار دام قرابة 130سنة إلا أنها تبقى محصورة الاستعمال لدى فئة قليلة جدا، اعتبرت لغة النخبة لفترة طويلة من الزمن، فبالرغم من عدم وجود مكانة رسمية لها في الدستور إلا أنها كانت تستخدم على نطاق واسع في مجال التعليم والاعلام والثقافة، حيث تقول خولة طالب الابراهيمي في هذا الصدد" إن الفرنسية تتأرجح بين منزلة اللغة الثانية، ومنزلة اللغة الأجنبية ذات الامتياز، والتي يتنازعها النكران الرسمي، وتعاظم سلطانها الرمزي، وواقع استعمالاتها، فإن الغموض الذي يغشى المكانة الموهوبة لها هو السمة الغالبة على الواقع الجزائري"[4]، إلا أنها حاليا شهدت تراجعا بمقابل سرعة انتشار اللغة الانجليزية خاصة لدى جيل الشباب.

5. **الإنجليزية:** تلقى اللغة الانجليزية اهتماما متزايدا من قبل الدولة الجزائرية إذ تم تعميم تعليمها في المدارس التعليمية واستعمالها في التعليم العالي والمؤسسات الرسمية كلغة أجنبية أولى.

6-الإسبانية: تدخل تدريجيًا كلغة أجنبية مكتسبة، ويتم تدريسها في المدارس الجزائرية للطور الثانوي، والجامعي.

فالمشهد اللغوي في الجزائر يعرف تعايش للعديد من اللغات واللهجات وهي العربية الفصيحة والأمازيغية إلى جانب اللغة الانجليزية التي شهدت إقبالا واسعا على تعلمها بمقابل اللغة الفرنسية التي شهدت تراجعا كبيرا، وذلك عائد للعديد من الأسباب ولعل أهمها أن اللغة الانجليزية تعد لغة عالمية تستعمل في السياحة والتجارة ومختلف التعاملات الاقتصادية والعلاقات الدبلوماسية، وأيضا من أجل مواكبة التطورات العالمية في مجالات العلم والتكنولوجيا وكذا الانفتاح على العالم، وهذا ما دفع الدولة الجزائرية إلى اعتماد اللغة الانجليزية في الجامعات والمعاهد ذات التخصصات العلمية وتعميم استعمالها في قطاع التعليم العالي والتربية والتعليم.

فالانتقال إلى الاعتماد على اللغة الانجليزية بدل الفرنسية التي كانت تسيطر على مختلف مؤسسات الدولة في تعاملاتها الإدارية جاء بعد دراسة عميقة للخبراء والمختصين في إطار ما يسمى بالتخطيط اللغوي وهذا ما أكده الدكتور محمد قماري الذي يرى" أن قضية التخطيط اللغوي تندرج ضمن المنظور الاستراتيجي للدولة، فهناك اللغة الأم التي هي ركن من أركان المؤسسة لمفهوم الأمة وكل تقصير في حقها يترتب عليه تصدعات في بناء هيكل الدولة، ثم هناك اللغة أو اللغات الوظيفية الأجنبية المعنية بالتخطيط الظرفي، وفقا للخدمات المرجوة منها في تحقيق أهداف الأمة الاستراتيجية(سياسيا، وثقافيا، واقتصاديا،...) فهي خريطة بمتغيرات متحركة وترتيبها محكوم بمنطقة المصلحة".[5]

3 - و اقع التعدد اللغوي في الجز ائر:

يعد التعدد اللغوي ظاهرة لغوية مألوفة للغاية في العالم كله، لأنه قلما توجد دولة أحادية اللغة، والحقيقة الأكثر انتشارا هي التعددية اللغوية، والتي تنتشر في بقاع متفرقة من العالم وبنسب مختلفة، "إذ توجد هذه الظاهرة في كل دول العالم تقريبا ولا تكاد تخلو منها دولة من الدول، كسويسرا وفرنسا والصين والهند نجدها أيضا في العديد من الدول الافريقية، وحتى الدول العربية كدول المغرب العربي وبالأخص الجزائر والمغرب الأقصى، ودول المشرق العربي كسوريا والعراق، فعلى الرغم من أن العربية هي اللغة الوطنية واللسان الرسمي الجامع لأغلبية هذه الدول، إلا أنها توجد لغات محلية كالأمازيغية وأجنبية مثل الفرنسية والانجليزية إلى جانب العربية".[6]

فالتعدد اللساني هو وجود عدد من اللغات الوطنية واللهجات المحلية في بلد أو مجتمع واحد ، أي استخدام الفرد أو مجموعة بشرية لأكثر من لغة ، وعليه فهو مرتبط بتعدد وتنوع وسائل التواصل والتخاطب، فيكون إما بين لغات وطنية و أخرى أجنبية، أو بين لغات وطنية ولهجات محلية، وذلك لأن التعدد اللغوي هو مقاربة كمية تحدد عدد المنظومات اللغوية المستعملة في البلد بعينه حيث يمكن وصف التعدد اللغوي في جانبين منفصلين ، الأول يهم اللغة الواحدة، مثل اللغة العربية تعرف تعددا يتشكل من عدة لهجات مختلفة ويتعلق الجانب الثاني من التعدد اللغوي بالنسيج اللغوي الذي يحكم تفاعل لغات وطنية وأجنبية".[7]

وتُعد الجزائر من الدول التي تتميّز بثراء لغوي فريد، يعكس تاريخًا طويلًا من التفاعل الحضاري والتأثيرات الثقافية المتعددة، فقد تعايشت في هذا البلد عدة لغات، أبرزها العربية، الأمازيغية، والفرنسية، مما خلق واقعًا لغويًا مركّبًا ومعقّدًا، هذا التعدد لم يكن مجرد تنوع لساني، بل أصبح عنصرًا فاعلًا في تشكيل الهوية الوطنية، وفي نفس الوقت مثار جدل حول أولويات السياسة اللغوية في مختلف القطاعات، من هنا تبرز أهمية دراسة واقع التعدد اللغوي في الجزائر لفهم تحدياته وفرصه في بناء مجتمع متوازن ثقافيًا ولغويًا، إذ تتميّز الجزائر بتعدد لغوي نتيجة عوامل تاريخية، اجتماعية وسياسية، اللغتان الرسميتان هما **العربية والأمازيغية**، بينما تُستخدم **الفرنسية** على نطاق واسع في الإدارة والتعليم العالي والإعلام، هذا التعدد خلق ما يُعرف بـ"الازدواجية اللغوية"، وأحيانًا "الصراع اللغوي"، حيث تتداخل اللغات في الحياة اليومية، ويظهر تفاوت في مكانتها الاجتماعية، فرغم جهود الدولة لترسيخ اللغة العربية وتعزيز الأمازيغية، تبقى الفرنسية حاضرة بقوة، ما يعكس استمرار النفوذ الثقافي الفرنسي بعد الاستعمار.

4- لغة الابداع الأدبي في الجزائر:

يتّسم الأدب الجزائري بتعدديته اللغوية، وهي سِمة تُضفي عليه فرادة وتميّزًا في الساحة الأدبية، فالإنتاج الأدبي في الجزائر لا يقتصر على لغة واحدة، بل يتنوّع بين **العربية، الفرنسية، والأمازيغية**، ما يعكس الخلفية الثقافية والتاريخية المتنوعة للمجتمع الجزائري، فاللغة العربية تُستخدم للتعبير عن الهوية الوطنية والدينية، وتُبرز في الشعر والنثر التراثي والمعاصر، أما اللغة الفرنسية فقد ورثها الأدب الجزائري من الحقبة الاستعمارية، لكنها تحوّلت إلى أداة للنقد والتمرد والتعبير الحداثي، وفي السنوات الأخيرة، بدأت اللغة الأمازيغية تفرض حضورها تدريجيًا، لتُعيد الاعتبار للأدب الشفوي والهوية الأمازيغية، هذا التعدد يُثري المشهد الأدبي الجزائري ويُتيح تنوّعًا في الأساليب والتجارب والرؤى الفنية.

أما إذا تحدثنا عن الأدب الجزائري المكتوب بالأمازيغية، لا بد أن نتكلم عن بداياته وعن نشأته، إذ يُعد الأدب الأمازيغي من أقدم أشكال التعبير الثقافي في شمال إفريقيا، وقد نشأ أساسًا في شكل **أدب شفهي** نُقل عبر الأجيال من خلال الحكايات، الأشعار، الأمثال والأساطير، ظل هذا الأدب محفوظًا في الذاكرة الشعبية لقرون، حيث كان يُعبّر عن القيم الاجتماعية، العادات والتقاليد، التاريخ والمعتقدات الأمازيغية، قبل أن يبدأ التحول إلى **أدب مكتوب** في العقود الأخيرة.

تعود بدايات الأدب المكتوب باللغة الأمازيغية للحقبة الاستعمارية، حيث تمثلت في توثيق الأدب الشعبي الشفوي من شعر وحكايات، مثلما قام به سعيد بوليفة (1865-1931) أما أول رواية مكتوبة بهذه اللغة فصدرت عام 1947 تحت عنوان "لوالي نوذرار" أو" ولي الجبل " لبلعيد آيت علي.

شهدت الرواية والأدب الأمازيغي ازدهارًا ملحوظًا بعد ترسيم اللغة الأمازيغية كلغة رسمية في عام 2016، حيث ارتفع عدد الإصدارات الأدبية وجوائز التكريم، بما في ذلك الجوائز الرسمية الممنوحة لأفضل الأعمال المكتوبة بالأمازيغية.

5- الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية:

تعود ارهاصات الكتابة الأدبية الروائية الجزائرية إلى الحقبة الاستعمارية، حيث ظهرت أعمال أدبية ولكنها باللغة الفرنسية، نظرا لانتشار هذه اللغة في المدارس التعليمية والتي كانت تفرض حينذاك على السكان، إضافة إلى بروز نخبة من المثقفين الجزائريين الذين أسسوا للبداية الفعلية للكتابة الروائية الجزائرية.

بدأ الكتاب الجزائريون الذين يكتبون باللغة الفرنسية يبرزون على الساحة الأدبية اعتبارا من سنة 1945م، متمثلة في أعمال مولود فرعون (1913م-1962م) حيث كانت أول رواية له (Le fils du

pauvre) ورحب النقاد بهذا العمل الذي حصل على الجائزة الكبرى لمدينة الجزائر، ثم قام بنشر رواية أخرى بعنوان (La terre et le sang) التي حصلت على جائزة (Le populiste) ، كما نشر رواية أخرى بعنوان (Les chemins qui montent)، وتعتبر جميع رواياته انعكاس للأوضاع التي يعيشها الشعب الجزائري في ظل الاحتلال الفرنسي، كما أنه نادى باستقلال الجزائر فهو الذي قال:" وفي الأخير ألا يدعى هذا البلد بالجزائر وسكانه بالجزائريين، لماذا الدوران حول أمر بديهي إذا؟ أتعتبرون أنفسكم جزائريين أيها الأصدقاء فمكانكم إلى جانب أولئك الذين يناظلون، قولوا للفرنسيين بأن هذا البلد ليس بلدهم، وبأنهم استحوذوا عليه بالقوة، والبقية ما هي إلا أكاذيب وسوء نية".[8]

كما نذكر أقلام روائية أخرى مثل (طاوس عمروش) التي لها العديد من الأعمال الروائية أبرزها: رواية (Jacinthe noire) ورواية (Rue des tambourins) ورواية (L'amant imaginaire)، وأبرز رواياتها هي (Le grain magique).

ويعد الكاتب مولود معمري (1917-1989) من أبرز الروائيين الذين لهم العديد من الأعمال باللغة الفرنسية والأمازيغية وأبرز هذه الأعمال رواية (La colline oubilée)، ورواية (Le sommeil du juste)، ورواية (L'opium et le bâton)، ورواية (La traversée)، ورواية (Le banquet)، وأيضا رواية (La mort absurdes des Aztéques).

أما في الكتابات المعاصرة فنجد تراجع الكتابة باللغة الفرنسية والاتجاه إلى الكتابة بالأمازيغية والعربية إلا بعض الكتاب المعروفون بكتابتهم باللغة الفرنسية أبرزهم كمال داود الذي فاز عام 2024 بجائزة غونكور الأدبية الفرنسية عن روايته (HOURIS)، و أيضا من أشهر رواياته" **مورسو، تحقيق مضاد(*Meursault, contre-enquête*)** "، وهي إعادة سرد لقصة "الغريب" لألبير كامو من وجهة نظر جزائرية، مما يعكس حوارًا مع الأدب الفرنسي الكلاسيكي من خلال لغته نفسها، فبالرغم من أنه نشأ بعد الاستقلال، فإن تعليمه كان بالعربية، لكنه يكتب بالفرنسية، و يبرر ذلك بأنه يبحث عن جمهور واسع، ويرى أن الفرنسية تحمل تقليدًا أدبيًا غنيًا، وتفتح له أبواب العالمية، حيث يقول في إحدى حواراته مع مجلة الشرق الأوسط حينما وجه له سؤال لماذا تكتب باللغة الفرنسية وليس باللغة العربية فرد قائلا:" أنا أرتاح حين أكتب بالفرنسية أكثر من العربية هذا كل ما في الأمر، في النهاية اللغة لا تشكل هويتي إنها عدتي مجرد أداة استخدمها للتعبير عن نفسي ابن المقفع كان فارسيا لكنه استطاع أن يذهب بجماليات اللغة العربية بعيدا جدا، رأيي أن امتلاك اللغة عند استعمالها أهم من الحوار حولها وعن علاقتها بالهوية"[9]

وبالتالي فهو يرى أن اللغة الفرنسية أكسبته شهرة عالمية، كما حظيت رواياته بانتشار واسع وترحيب خاصة في الوسط الفرنسي، مما مكنه من نيل جوائز عديدة في الأدب المكتوب باللغة الفرنسية،

فكمال داود نفسه صرّح في العديد من مقابلات أن الفرنسية بالنسبة إليه هي "غنيمة حرب"، أي أنه يستخدمها كأداة للتعبير عن واقع الجزائر وما بعد الاستعمار، دون أن يعني ذلك تخليه عن الهوية الجزائرية أو العربية، لذا فهو يتبنّى خطابًا نقديًا للسلطة والتطرف، ويستفيد من الحماية التي توفّرها الفرنسية باعتبارها لغة "أبعد عن الرقابة".

كما نجد من أبرز الروائيين المعاصرين الذين تبنوا اللغة الفرنسية في كتاباتهم الروائية ليندا شويتن وهي ناطقة بالأمازيغية (القبائلية)، درست الأدب الإنجليزي، لكنها تكتب بالفرنسية، كتبت العديد من الدراسات حول الأدب الفرنكوفوني، وخاصة الجزائري المكتوب بالفرنسية، قد تكون الفرنسية لديها لغة التكوين الأكاديمي، ووسيلة للتعبير عن هوية ثقافية متعددة الانتماءات، يمكن أن نفهم كتابتها بالفرنسية كنوع من التفاعل مع التراث الثقافي الفرنسي دون أن يعني ذلك فقدان الهوية، بل إعادة صياغتها، ولعل من أبرز مبررات جنوح ليندا شويتن للكتابة باللغة الفرنسية، هو تكوينها الأكاديمي باللغة الفرنسية خاصة أن الفرنسية كانت ولازالت مهيمنة على التعليم العالي في الجزائر، فالكتابة بلغة التعلم تمنحها أدوات تعبيرية أكثر ثراءا مقارنة بالأمازيغية التي تواجه تحديات في التوحد المعياري أو الانتشار الأدبي الواسع، إلا أن الكتاب باللغة الفرنسية تبقى تواجههم مسألة تعدد الهوية، وأيضا قد يواجهُها سؤالٌ عن "الشرعية" من بعض الأوساط الأمازيغية أو الوطنية، خاصةً في سياقِ النقاش الدائر حول تعريبِ أو تمزيغِ الفضاء العام في الجزائر.

رغم التنوع الكبير في الاختيارات اللغوية عند الكتاب الجزائريين إلا أن هناك العديد من العناصر المشتركة التي تلتقي عندها اختيارات الكتاب:

– الرغبة في التعبير الحر: يبحث الكاتب الجزائري الحديث عن لغة تُعبّر عن هويته الحقيقية، وليس فقط عن خيار سياسي أو تعليمي.

– التحديات ضد المركزية: سواء العربية الفصحى أو الفرنسية، فإن الكثير من الكتّاب يسعون إلى تجاوز هذه اللغات "المهيمنة وفضلوا الكتابة بلغتهم الأمازيغية محاولة منهم للحفاظ عليها.

– التقاطعية الثقافية: يعيش الكاتب الجزائري في فضاء تقاطعي بين عدة ثقافات ولغات، فلا ينتمي تمامًا لأي منها، فبعض الكتاب نشأ في بيئة فرنسية وبالتالي نجد أعماله كلها مدونة باللغة الفرنسية، في حين نجد بعض الكتاب نشأوا في أحضان اللغة الأمازيغية فيكتبون باللغة الأمازيغية

– البحث عن الجمهور: اللغة ليست فقط اختيارًا شخصيًا، بل وسيلة للتواصل مع جمهور معين (عربي، فرنكفوني، محلي)، وبناء على هذا الاعتبار يختار المؤلف اللغة التي يتواصل بها مع جمهوره.

ونرى أن الكتاب الأمازيغ في فترة ما قبل الاستقلال كتبوا بالفرنسية ليس حبا في هذه اللغة فقط وإنما لأسباب أخرى أبرزها أنهم تتلمذوا في المدارس الفرنسية وتخرجوا منها، كما أن معظم الأعمال الروائية العالمية وأبرزها كتابات موليير كانت باللغة الفرنسية، وبالتالي الكتابة بهذه اللغة كان واقعا مفروضا خاصة مع محاولة الاستعمار طمس اللغة العربية أنذاك.

6-أسباب الكتابة باللغة الفرنسية عند الأدباء الجزائريين:

يطرح سؤال "لماذا يكتب بعض الأدباء الأمازيغ بالفرنسية؟" نفسه بإلحاح في سياق النقاشات المتعلقة بالهوية، اللغة، والاستعمار في بلدان شمال إفريقيا، فبينما يُعرف الأمازيغ بثراء لغتهم وثقافتهم الشفوية العريقة، نجد أن عددًا من كبار أدبائهم اختاروا التعبير بالفرنسية، وهي لغة المستعمر السابق، هذا الخيار ليس اعتباطيًا، بل هو نتيجة لعوامل تاريخية، ثقافية، وسياسية متشابكة، بدأت منذ الحقبة الاستعمارية، حين فُرضت الفرنسية كلغة تعليم وإدارة، واستمرت حتى اليوم، حيث لا تزال الفرنسية تحتفظ بمكانة بارزة في النشر والإعلام والثقافة الرسمية، في هذا السياق، تصبح الكتابة بالفرنسية بالنسبة للأديب الأمازيغي إما أداة مقاومة، أو وسيلة للتواصل مع جمهور أوسع، أو تعبيرًا عن واقع لغوي معقد وتعددي، لذا نذكر فيما يلي بعض الأسباب:

– **التأثير الاستعماري والتاريخي**: خلف الاستعمار الفرنسي (1830-1962) إرثًا لغويًا وثقافيًا عميقًا في الجزائر، حيث أصبحت الفرنسية لغة النخبة والتعليم العالي والإدارة، العديد من الكتاب الأمازيغ نشأوا في بيئة تعليمية وثقافية فرنكوفونية، مما جعل الفرنسية وسيلتهم الطبيعية للتعبير.

– **الانتشار العالمي والفرص الأدبية**: تتيح الكتابة بالفرنسية للكتاب الأمازيغ وصولاً أوسع إلى القراء والنقاد على المستوى الدولي، خاصة في أوروبا وأفريقيا الفرنكوفونية، مما يزيد من فرص النشر والتقدير الأدبي.

– **الحرية التعبيرية:** في بعض الأحيان، قد يجد الكتّاب الفرنكوفونيون في العالم العربي هامشًا أكبر من الحرية في التعبير عند الكتابة بلغة أجنبية، خاصة عند مناقشة قضايا سياسية أو اجتماعية حساسة.

– **التكوين الأدبي والتعليمي** : كثير من الكتّاب الجزائريين تعلموا في مدارس فرنكوفونية أو تأثروا بالأدب الفرنسي، مما يجعل الفرنسية لغة طبيعية لهم في الكتابة الإبداعية.

– **التحدي والهوية** :بعض الكتّاب يستخدمون لغة المستعمر السابق كوسيلة لإعادة صياغة الهوية أو تحدي السرديات الاستعمارية من خلال اللغة نفسها.

– **التفاعل مع التراث الفرنسي**: استخدامُ الفرنسية لا يعني بالضرورة تبنيًا للهوية الفرنسية، بل قد يكون استيلاءً نقديًّا على لغة المستعمِر لإعادة صياغة الهوية من داخلها، كما فعلَ كُتَّابٌ مثل كاتب ياسين (الذي كتبَ بالفرنسية رغم نضاله من أجل الهوية الجزائرية).، الفرنسيةُ هنا تُصبِحُ "ساحة حرب" ثقافية، حيث يُعادُ تشكيلُها لنقلِ تجاربَ محليةٍ أو مقاومةٍ ثقافية.

-الهوية المتعددة الانتماءات: اختيارُ الفرنسية قد يعكسُ هويةً مركَّبة: أمازيغيةٌ في الأصل، متعددةُ اللغات (الأمازيغية، العربية، الفرنسية، الإنجليزية)، لكنها تختارُ الفرنسيةَ كجسرٍ نحو عالميةٍ أدبيةٍ أو حتَّى كموقفٍ من واقعِ المشهد الثقافي الجزائري.

– **ضعف البنية التحتية للنشر الأمازيغي:** يعاني الأدب الأمازيغي من محدودية دور النشر والتوزيع، بالإضافة إلى نقص الدعم المؤسساتي مقارنة باللغتين العربية والفرنسية. هذا يدفع بعض الكتاب إلى تبني الفرنسية كخيار عملي.

– **غياب معايير موحدة للأمازيغية المكتوبة**: رغم الاعتراف الرسمي بالأمازيغية كلغة وطنية ورسمية في الجزائر، إلا أن الخلافات حول كتابتها (بالحرف اللاتيني أو العربي أو التيفيناغ) تخلق تحديات أمام توحيد لغة أدبية أمازيغية قوية.

– **الهروب من الرقابة والصراعات الهوياتية**: في بعض الأحيان، تكون الكتابة بالفرنسية وسيلة لتجنب الانخراط في الجدل السياسي والثقافي المحتدم حول مكانة الأمازيغية والعربية في الجزائر.

7-تداعيات الكتابة الأدبية الجزائرية باللغة الفرنسية وتأثيراتها على اللغات الوطنية:

تحمل الكتابة الأدبية الجزائرية باللغة الفرنسية تداعيات ثقافية وسياسية واجتماعية معقّدة، تتجاوز مجرد اختيار اللغة كأداة تعبير، هذه الظاهرة لها جذورها التاريخية في الاستعمار الفرنسي (1830–1962)، وما خلّفه من تأثير عميق على الهوية والثقافة الجزائرية، ونذكر فيما يلي بعض أبرز التداعيات:

- **التأثير اللغوي**: لقد أدى انجراف الكتاب الجزائريين إلى الكتابة باللغة الفرنسية إلى إقصاء العربية والأمازيغية، وذلك لأن الكتابة بالفرنسية قد تُهمّش اللغتين الرسميتين في الجزائر (العربية والأمازيغية)، مما يُثير جدلًا حول دور اللغة في الحفاظ على التراث الثقافي الوطني.

- **التحدي الهوياتي:** تُظهر النصوص الجزائرية المكتوبة بالفرنسية تناقضًا بين الانتماء الثقافي الأمازيغي- العربي- الإسلامي واللغة المستعمرة التي أصبحت وسيطًا إبداعيًا، هذا يعكس إشكالية "الاغتراب اللغوي" الذي تناوله كتّاب مثل كاتب ياسين في روايته *نجمة* (1956)، حيث يصوّر الشخصيات وهي تعاني من انفصام بين لغة "الغالب" ووجدان "المغلوب."

- **التداعيات السياسية:** أبرزها الصراع حول الشرعية، حيث أنه بعد الاستقلال أُعتبرت الفرنسية "لغة العدوان"، لكنها ظلّت مهيمنة في الإدارة والتعليم، كما أن الأدب المكتوب بها أصبح ساحة صراع بين النخبة الفرنكوفونية التي رأت في الفرنسية جسرًا نحو الحداثة والتيار العربي/الإسلامي الذي دعا إلى القطيعة مع الإرث الاستعماري، كما ظهر إلى جانب ذلك أدب المنفى حيث أن الكثير من الكتّاب الفرنكوفونيين كتبوا من المنفى مثل رشيد بوجدرة مما أضاف بعدًا سياسيًا لنصوصهم كاحتجاج على السلطات الجزائرية أو الفرنسية.

-**التأثيرعلى الهوية الثقافية:** قد يؤدي تبني الفرنسية إلى إضعاف التواصل بين الأدب الأمازيغي وجمهوره المحلي، خاصة الأجيال الشابة التي تتقن الأمازيغية أو العربية.

-**إعادة إنتاج التبعية الثقافية:** تعكس هذه الظاهرة استمرار الهيمنة الثقافية الفرنكوفونية في المجال الأدبي، مما يطرح تساؤلات حول استقلالية المشهد الثقافي الجزائري.

-**إغناء الأدب الفرنكوفوني:** من ناحية أخرى، يساهم الأدب الأمازيغي المكتوب بالفرنسية في تنوع الأدب الفرنكوفوني وإبراز الرواية الأمازيغية عالميًا.

8-خاتمة:

إن ميل الكاتب الجزائري إلى اللغة الفرنسية يعكس إشكالية معقدة تتعلق بالتاريخ والهوية والواقع اللغوي في الجزائر، فبالرغم من أن الفرنسية تفتح أمامهم آفاقًا عالمية، إلا أنها تثير في الوقت نفسه تحديات بشأن الحفاظ على الخصوصية الثقافية الجزائرية، فرغم ذلك يبقى الأدبَ فضاءً للإبداع الحر، واللغةُ أداةٌ وليست مُحدِّدةً مطلقةً للهُويَّة، كما أن الكتابةُ بلغةٍ أخرى يمكن أن تكونَ وسيلةً لتأكيد الذات في فضاءٍ أوسع، كما فعلت آسيا جبار (التي حوَّلت الفرنسيةَ إلى صوتٍ للنساء الجزائريات) إذ هناك أمثلةٌ تاريخيةٌ لكتَّابٍ استخدموا لغةَ المستعمِر لنقلِ قضاياهم مثل إيميه سيزار في "دفتر عودة إلى الوطن الأم".

لذلك فإن الكتابة في الجزائر ليست مجرد فعل إبداعي، بل هي أيضًا فعل مقاومة، واكتشاف، وابتداع أساليب كتابية جديدة، إلا أنه من غير المتصوّر أن يُكتب كتابٌ بالكامل بالعامية التي تنفلت من كل قواعد اللغة المعيارية، كما يصعب تصور كتاب بالأمازيغية يُطبع بالحرف اللاتيني ويُقرأ بصوت فرانكوفوني، نحن لا نريد أدبًا متمردًا على اللغات الرسمية للبلاد، بل نحتاج إلى سياسات لغوية واضحة ومدروسة، لأن اللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير، بل هي أيضًا مشروع هوية.

9-الإحالات:

[1] علي سارة، واقع اللغة العربية في الجزائر وقدرتها على مواجهة التحديات، مجلة المدونة، المجلد 08، العدد 03، سبتمبر 2021، ص 2502.

[2] خولة طالب الابراهيمي، الجزائريون والمسألة اللغوية، دار الحكمة، الجزائر، ط1، 2007 ، ص 25.

[3] أحمد بوكوس، مسار اللغة الأمازيغية الرهانات والاستراتيجيات، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، المغرب، دط، 2013، ص ص 26.

[4] خولة طالب الابراهيمي، الجزائريون والمسألة اللغوية، مرجع سابق، ص 27.

[5] https://www.aljazeera.net/culture/2022/6/23 مقال الكتروني بعنوان: الجزائر تعتمد الانجليزية في التعليم الابتدائي... أي شروط لنجاح الانتقال اللغوي ، تمت زيارة الموقع بتاريخ 2025/05/11

[6] ميشال زكريا. قضايا ألسنية تطبيقية دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص 15.

[7] حساين سهام، التعددية اللسانية وأثرها على المجتمع الجزائري ، أعمال ملتقى الوطني التعدد اللساني واللغة الجامعة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ج1، ص 423

[8] محند أكلي حدادو، مدخل إلى الأدب الأمازيغي، تر: جبيب الله منصوري، منشسورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2020، ص 39.

[9] مقال في مجلة الكترونية بعنوان: أكتب بالفرنسية لأن اللغة العربية مكبلة ولا تسمح لي بالحلم، aawsat.com تم زيارة الموقع بتاريخ 2025/07/03.

المراجع:

– أحمد بوكوس، مسار اللغة الأمازيغية الرهانات والاستراتيجيات، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، المغرب، دط، 2013.

– حساين سهام، التعددية اللسانية وأثرها على المجتمع الجزائري ، أعمال ملتقى الوطني التعدد اللساني واللغة الجامعة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ج1.

– خولة طالب الابراهيمي، الجزائريون والمسألة اللغوية، دار الحكمة، الجزائر، ط1، 2007 .

– علي سارة، واقع اللغة العربية في الجزائر وقدرتها على مواجهة التحديات، مجلة المدونة، المجلد 08، العدد 03، سبتمبر 2021، ص

– محند أكلي حدادو، مدخل إلى الأدب الأمازيغي، تر: جبيب الله منصوري، منشسورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2020،

– ميشال زكريا. قضايا ألسنية تطبيقية دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

– https://www.aljazeera.net/culture/2022/6/23 مقال الكتروني بعنوان: الجزائر تعتمد الانجليزية في التعليم الابتدائي... أي شروط لنجاح الانتقال اللغوي ، تمت زيارة الموقع بتاريخ 2025/05/11

– مقال في مجلة الكترونية بعنوان: أكتب بالفرنسية لأن اللغة العربية مكبلة ولا تسمح لي بالحلم، aawsat.com تم زيارة الموقع بتاريخ 2025/07/03.